دراسات في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة
مجلد 24 العدد 02 السنة 2024 ص ص 1- 14
ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

بنيــة النّص الأدبـــــي بين الشّكل والدّلالـة عند أبـــــي هــلال العسكــري

The structure of the literary text between form and significance according to Abu Hilal Al-Askari

عبد الكريـــم محمـــودي [1]
[1] جامـــعة الجزائـــــر2، الجزائـــر
mahmoudi.abdelkrim80@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/12/28 تاريخ القبول: 2024/11/28 تاريخ النشر: 2024/12/31

Abstract:

In his book “Al-Sina’atin” Al-Askari dealt with several literary and linguistic issues, among them: the phenomenon of the exchange of meanings in the literary text, and how it results in Arabic rhetoric based on the problem of pronunciation and meaning. Large and complex, this article aims to address this relationship with analysis, description and explanation, and the problem of this research can be formulated as follows: What is the relationship of the circulation of meanings to the eloquence of the text from the military perspective ؟

key words:

Rhetoric, meanings, circulation, pronunciation, Abu Hilal Al-Askari**.**

المؤلف المرسل: عبد الكريـــم محمـــودي
البريد الالكتروني:mahmoudi.abdelkrim80@gmail.com

الملخص:

عالج العسكري في كتابه" الصناعتين" عدة قضايا أدبية ولغويّة، من بينها: ظاهرة تداول المعاني في النّص الأدبي، وكيف تنتج عنها البلاغة العربيّة انطلاقا من إشكالية اللّفظ والمعنى، فالتّأليف في نظره ليست عملية يسيرة بل تتداخل فيها قضايا شتى أي هناك علاقات كبيرة ومتشعبة، يهدف هذا المقال إلى معالجة هذه العلاقة بالتّحليل والوصف والشرح، إشكالية هذا البحث يمكن صياغتها كالآتي: ما علاقة تداول المعاني ببلاغة النّص من منظور العسكري؟

الكلمات المفتاحيّة:

البلاغة، المعاني، التّداول، اللّفظ، أبو هلال العسكري.

1. مقدّمـــــة :

إن أبرز الموضوعات التي تناولها أبو هـلال العسكري هي قضية اللّفظ والمعنى وما يتّصل به من كتابة الشّعر والنّثر من خلال مؤلّفه الشهير (الصناعتين)، فهو من مدرسة الجاحظ التي تتّشيع للألفاظ وكيفيّة تركيبها ونسجها، لأنّ المعاني في الطّريق كما قال الجاحظ: وإنّما الشّأن في إلباس هذه المعاني ما يناسبها من الكسوة اللّفظية. يهدف هذا البحث إلى تبيان: علاقة تداول المعاني ببلاغة النّص الأدبي من منظور العسكري ضمن النّقد اللّغوي في العصر العباسي، متتبع المنهج الوصفي التّحليلي.

2. صناعـــــة الشّعــر والنثـــر:

إنّ كتاب الصّناعتين لأبي هلال لم يؤلّفه "لإثبات الإعجاز فإنّ هذه الفكرة كانت من العوامل الكبيرة التي وجّهت المؤلّف إلى تصنيف ذلك الكتاب فهو في نهاية المطاف بلاغي الطّابع وإن لم يفصل كثيرا بين البلاغة والنّقد مثلما مزج شواهده وقواعده كي تكون صالحة لقياس الصناعتين معا."[1]

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

أي صناعة الشّعر والنّثر ودعوته إلى حسن توظيف هذه الثّنائية(اللّفظ والمعنى) من أجل الإبداع الجيّد، وممّا يدلّ على أنّ العسكري يتّبع الجاحظ في قضية اللّفظ وعلاقته بالمعنى ونقائه، وكثرة طلاوته ومائه، مع صحّة السّبك والتراكيب،والخلو من النّظم والتّأليف المتنافر ولا يطلب من المعنى إلاّ أن يكون صوابا، ولا يقع من اللّفظ بذلك حتى تكون الصناعة الشعريّة قويّة ومحكمة وذلك في قوله:"وليس الشأن في إيراد المعاني، لأنّ المعاني يعرفها العربي والقروي والبدوي وإنّما هو جودة اللّفظ و صفائه، وحسنه و بهائه ونزاهته على ما وصفناه من نعوته التي تقدّمت."[2]

فنلاحظ من خلال هذه الفقرة أنّ العسكري يتبنّى نظريّة المعاني المطروحة التي أقرّها الجاحظ في كتابه (الحيوان) قبله، وأنّ البلاغة العربيّة عنده تكمن في الصّنعة اللّفظية أمّا المعنى فهو الصّناعة الشّعريّة، أي أنّ صعوبة نظم النّص تكمن في نسيجه اللّغوي وكيفية رصف الكلمات التي تتنوّع بين الفعل والاسم والحرف، وما يحدث من تفاعل بينهم وتلاؤمهم مع بنية المعنى المنشود ومعنى المعنى في بعض الأحيان عندا يغوص المؤلّف في عالم الخيال والاستعارة بكل أنواعها، فحين قال: وليس الشّأن في إيراد المعاني، لأنّ المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي، وإنّما هو جودة اللّفظ وصفائه، وحسنه ،هو نتاج هذه البلاغة. فالغاية من التّعبير هو تبليغ المعنى، أي أنّه تحصيل حاصل ونتيجة البلاغة فالاعتناء بالألفاظ وكيفيّة صياغتها أولى من التّركيز على المعاني، حتى أنّ العسكري يعيد الألفاظ ذاتها التي وردت عند الجاحظ.

فالعلاقة بين اللّفظ والمعنى عند العسكري تشبه العلاقة بين اللّغة والتّواصل فاللّغة وسيلة أساسيّة للتّواصل بين أفراد الجنس البشري، ولا

يتحقّق التّواصل إلا باللّغة عموما لأنّه قد يحدث التّواصل بالإشارة خصوصا عند ذوي الاحتياجات الخاصّة فكذلك المعنى هو نتاج الألفاظ أي الاهتمام بالعمل(النّطق بالألفاظ) قبل النتيجة (أداء المعنى) ومن الدليل على أنّ مدار البلاغة على تحسين اللّفظ "أنّ الخطب الرّائعة والأشعار الرّائقة ما عملت لإفهام المعاني فقط، لأنّ الرّدئ من الألفاظ يقوم مقام الجيّدة منها في الإفهام، وإنّما يدلّ حسن الكلام، وإحكام صنعته و رونق ألفاظه، وجودة مطالعه وحسن مقاطعه، وبديع مباديه وغريب مبانيه على فضل قائله، وفهم منشئه."[3]

يتبين من ذلك أنّ العسكري يرجع حسن الكلام لقائله من خلال أسلوبه في التّعبير الأدبي وبذلك يفاضل بين إنسان وأخر بنسيجه اللّفظي فالصّنعة اللّفظـــية ليست عمليّة سهلة بل تتطلّب إحكام الصنعة ورونق اللّفظ وجودة المطـــلع،فالكلمات هي لعبة في يد الإنسان ،يجب أن يلعب بها كيف يشاء بأكمل وجه وأحسن بلاغة من خلال التأثير في نفس المتلقي بتوظيف للبديع، والصور البيانية والتّقديم والتّأخير بين الكلمات حتى يستوي التّركيب وتنزل كل كلمة مكانها، ويغير ما يحدث من تنافر في الكلمات، لأنّ الكلمة تناسب موضع ولا تناسب موضع آخر فالأديب عندما ينتج إبداعا أدبيّا يلقي استحسانا ورضا من الجمهور المتلقي.

أي أنّ فضل هذا الإبداع يرجع إلى المنشئ ومدى فهمه قبل أن يتحدّث، و أكثر هذه الأوصاف ترجع "إلى الألفاظ دون المعاني وتوخّي صواب المعنى أحسن من توخّي هذه الأمور في الألفاظ، ولذا تأنّق الكاتب في الرّسالة والخطيب في الخطبة والشّاعر في القصيدة يُبالغون في تجويدها ويغلون في ترتيبها، ليدلوا على براعتهم وحذقهم بصناعتهم ولو كان الأمر في المعاني لطرحوا أكثر ذلك فربحوا كدّا كثيرا وأسقطوا عن أنفسهم تعبا طويلا."[4] من هنا يتضح أنّ براعة و قوّة الكاتب تكمن في قوّة التّجويد والمبالغة في التّعبير سواء كان من فنون الشّعر (العمودي ،أو

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

الحر،أو الموشحات) أو من فنون النّثر(الرسالة الخطابة، المقامات والقصّــة) فلو كان الاهتمام بالمعنى أوّلا لكان الأديب قد أزاح الكثير من المتاعب عنه فيما يخصّ الصياغة اللّفظية.

فصناعة الأدب هي صناعة كباقي الصّناعات تتطلّب وسائل ومهارات وحــذق وتختلف هذه الصّناعة من شخص إلى آخر بحسب مهارته وقوته، فالعسكري يرى التّعب الكبير يقع على عاتق صانع الألفاظ لأنّ الشّعر "كلام منسوج، ولفظ منظوم وأحسنه ما تلاءم نسجه و لم يسخف، وحسن لفظه ولم يهجن ولم يستعمل فيه الغليظ من الكلام فيكون جلفا بغيضا ولا السوقي من الألفاظ فيكون مهلهلا دونيا."[5]

إنّ الشّعر الجيّد هو الذي يتلاءم فيه النسيج اللّفظي أي الذي يقع بين الكلام الغليظ وبين الكلام السّوقي الذي يتميّز به الجهلة من النّاس، والذين حظّهم في الأدب قليل والإغراب في انتقاء الألفاظ من عيوب النّسيج الشّعري، لأنّ الغريب في الألفاظ يحدث فجوة بين المرسل والمتلقّي بسبب هذه الغرابة حيث يقول أحد النّقاد:" فإذا كانت سُنة التّطور دفعت النّاس إلى أن يأخذوا من الكلام ألينه فلا رخصة للشّاعر في مخالفة التّطور وذوق المجتمع الذي يتوجّه إليه بالخطاب."[6] فتوظيف الغريب الذي ينتج عنه التّعقيد اللّفظي الذي هو من عيوب البلاغة العربيّة، يشوش على المتلقي و يخلق فجوة بينه و بين الفهم.

يقول العسكري:" ولا خير في المعاني إذا استكرهت قهرا، والألفاظ إذا اجترأت قسرا ولا خير فيما أجيد لفظه إذا سخف معناه، ولا في غرابة المعنى إلاّ إذا شرف لفظه مع وضوح المغزى و ظهور سخفَ

معناه، ولا في غرابة المعنى إلاّ إذا شرف لفظه مع وضوح المغزى وظهور المقصد."[7]

فالخير يكمن في اللّفظ و المعنى على حدّ سواء إذا وظّف كل منهما على أحسن وجه فالكاتب لا يجبر اللّفظة في غير موضعها قسرا، فإذا حدث هذا لا ينتظر الخير في المعنى فالعسكري في حركية دائمة بين الارتداد إلى الوراء و بين محاولة النقلة وتمثل الجديد فاللفظة في التّعبير ينبغي أن ننزلها منزلتها و ندرك من خلال ما سبق أن، إشكالية اللفظ والمعنى لها آثار عميقة في النّقد الأدبي كما نلاحظ أنها تتّسع إلى أبعد الحدود ولها علاقة بكلّ مجالات الأدب وقضايا النّقد.

3ــ مـــــدار البلاغـة تحسين اللّـفـــظ:

إنّ عمليّة تحسين اللّفظ وتجويده وإعطاء حقّه في الموضع مع جيرانه في التّركيب اللّفظي تجعل البلاغة تحضر في هذا التركيب، وهذا يدلّ على أنّ "أعظم مدار البلاغة على تحسن اللّفظ، لأنّ المعاني إذا دخل بعضها في بعض هذا الدّخول وكانت الألفاظ مختارة حُسُنَ الكلام، وإذا كانت مُرتّبة حسنة والمعارض سيّئة كـان الكلام مردودا."[8] فالمعرض هو الأهمّ في نظر العسكري وتُكتسب هذه البلاغة بمدارسة أمّهات كتب الأدب والاحتكاك بمؤلفيها عن طريق التّمرين والتّأليف فالبلاغة ليست حكرا على فئة مُعيّنة من النّاس، فلكل إنسان لديه حظ في هذه البلاغة،ولكن هذا الحظ لا يأتي بسهـولة.

4- في معرفة صنعــة الكلام و ترتيب الألـفـاظ:

كان العسكري أشدّ مغالاة في تقدير اللّفظ، و"يرجع ذلك إلى مذهب الرّجل وإيثاره مذهب الصّنعة."[9] ،ففي كتاب الصناعتين أورد وحلّل قضية الصّنعة الأدبيّة وكيفيّة نظم هذه الألفاظ من أجل أن تتناسق دلالتها و تؤدّي معانيها على الوجه الصّحيح لأنّ الصّياغة في الشّعر هي الجسم "الذي

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

يعبّر عن كل ما تجسّد فيه من روح ومعان وأفكار ومنذ وُجد الشّاعر الأوّل والشّعراء يسعون إلى أداء ما انطبع في نفوسهم و قلوبهم من إحساسات ومشاعر إزاء الكون والطبيعة، والحياة الإنسانية...فإن الألفاظ التي تُستخدم في هذا الأداء يستدير حولها نطاق من الغموض والإبهام، وهي في حقيقتها ليست أكثر من رموز ناقصة تعبّر عن حالات وجدانيّة تعبيرا عامّا ليس فيه تخصيص ولا تحديد دقيق."[10]

ولهذا فالصّناعة في الإبداع الأدبي هناك من أرجعها إلى المعاني دون الألفاظ وهناك من قال بمنزلــة الألفاظ، فمصطلح الصّناعة تناوله معظم النقّاد مثل: ابن سلام الجمحي في كتابه (طبقات فحول الشّعراء)، وابن طباطبا في كتابه (عيار الشّعر) والحسن بن بشر الآمدي الــذي ألّف كتاب (الموازنة بين أبي تمام والبحتري)، حيث وصف أبي تمام بالصّنعة والبحتري بالطبع، وقد عالج في الباب الثّالث منه صناعة الكلام وقوانينها تحت عنوان (في معرفة صنعة الكلام و ترتيب الألفاظ)، يقول في البداية" إذا أردت أن تصنع كلاما فأخطر معانيه ببالك وتنوق له كرائم اللّفظ،واجعلها على ذكر منك، ليقرب عليك تناولها، ولا يتعبك تطلُّبها، وأعمله ما دمت في شباب نشاطك."[11]

فبيّن أبو هلال العسكري أن نظم الكلام هو صناعة كبقية مثل الصّناعات تتطلّب تركيزا ودراية بعلوم اللّغة والأدب، وعلى صانع الأدب أن يضع المعاني نصب عينيه حتى يتلاءم اللّفظ مع معناه وتحصل الصّنعة الجيّدة المؤثّرة، ثم يضــع العسكري شروطا الصّانع الكلام يقول:" وقالوا ينبغي لصانع الكلام ألاّ يتقدّم الكلام تقدّما، ولا يتّبع ذُناباه تتبّعا، ولا يحمله على لسانه حملا، فإنه إن تقدم الكلام لم يتبعه خفيفُه و هزيــلهُ وأعجفُه والشّارد منه."[12]

أي يجب على صانع الكلام أن يساير كلامه، أي لا يتقدّم عليه ولا يتأخّر بل يُسايره جنبًا إلى جنب، كما لا يحمل ألفاظا صعبة على لسانه حملا، بل يترك الألفاظ تنثال عليها انثيالا لا قسرا و يحثّ على الاهتمام والرّعاية باللّفظ فجعله مدار البلاغة ،ولكنّه يقصد اللّفظ الشّريف العذب هو البعيد عن التّعقيد اللّفظي حيث يقول:"وإياك والتّوعر، فإنّ التّوعر يسلمك إلى التّعقيد والتّعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك، ومن أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فإنّ حق المعنى الشّريف اللّفظ الشّريف، ومن حقّهما أن يصونهما عمّا يدنّسهما ويفسدهما ويهجنهما."[13]

فالتّعقيد يفسد المعنى ويستهلكه بغير فائدة، فالمعنى الشّريف يصلح له لفظ شريف والمعنى الكريم يستحقّ اللّفظ الكريم، فهذه صنعة تتطلّب مهارة وحذق من المبدع الذي يُشكّل النّص من نسيج لغوي فهو بلاغ لغوي مكتوب إلى المتلقّي ،فمن حق اللّفظ والمعنى أن يصونهما المبدع من التّدنيس أو التّشويه في الصياغة أو أداء الدّلالة.وبعدها يحثّ العسكري المبدع على أن يعرف أقدار المعاني، فلكل مقام مقال ولا يتحدّث بطريقة واحـدة مع جميـــع فئات النّاس حيث يقول أبو هلال العسكري في هذا الغرض:"وينبغي أن تعرف أقدار المعاني، فتوازن بينها، وبين أوزان المستمعين، وبين أقدار الحالات، فتجعل لكـل طبقة كلامـا، ولكلّ حال مقـاما حتى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار الحالات."[14]

فالموازنة بين المعاني وأحوال المستمعين مطلوبة والكلام عبارة عن طبقات كما أنّ النّاس طبقات، ومعناه أن كلام يختلف من طبقة لأخرى فلكلّ معنى من هذه المعاني ما يناسبه من فئات النّاس، فالمبدع عندما يريد أن ينظم شعرا عليه أن يحضر المعاني أوّلا ثمّ يهيئ لها ما يناسبها من الألفاظ حتى تؤدّي هذا المعنى المقصود من قبل وينسجها وفق شاكلة بديعة متفرّدة.

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

ويقول أيضا: إذا أردت أن تعمل شعرا" فأحضر المعاني التي تريد نظمها فكرك وأخطرها على قلبك، واطلب لها وزنا يتأتّى فيه إيرادها وقافية يحتملها، فمن المعاني ما تتمكّن من نظمه في قافية ولا تتمكّن منه في أخرى، أو تكون في هذه أقرب طريقا وأيسر كلفة منه في تلك."[15] أي أن استحضار المعاني للمؤلف تسبق تخير اللّفظ المناسب له وكذلك الوزن ورونق الألفاظ وبعدها عن التعقيد والوحشية التي تنفر المتلقي، فهذا يدلّ على سعة ونظرة العسكري للشّعر نظرة فاحصة وخاصّة عندما نجده يقسّم الألفاظ إلى "طبقات، وبين المقبول منها والمردود، خير ما يقدّم لطالب الأدب، كما أنّ علاجه للمعاني وتقسيمه إيّاها إلى جديدة مبتكرة و مسبوق إليها مقلّدة واشترط الصّواب في كلتيهما بحثا أدبيّا نقـديّا ناجحا." [16]

وممّا يدل على أنّ نظم الشّعر صنعة هو ما يدعو إليه العسكري فيما يخصّ تخيّر اللّفظ، فهناك اللّفظ الذي يستحقّ تقديمه، فـلا يؤخّره، وهناك ما يستحقّ تأخيره فلا يقدّمه، وأن يستقيم اللّفظ مع قواعد اللّغة والنّحو والبلاغة والفصاحة ومطابقتهما للأوزان المتعارف عليها فالواجب على اللّفظ أن يشاكل القافية حتى لا يحدث التّنافر بينهما، ويكون هناك توافق بين الأصوات وخاصة للغرض الشّعري.

فيقول: "وتخيّر الألفاظ، وإبدال بعضها من بعض يوجب التئام الكلام، وهو من أحسن نعوته وأزين صفاته، فإن أمكن مع ذلك منظوما من حروف سهلة المخارج كان أحسن له وأدعى للقلوب عليه، وإن اتّفق له أن يكون موقعه في الإطناب والإيجاز أليق بموقعه وأحقّ بالمقام والحال كان جامعا للحسن، بارعا في الفضل."[17] فمعيار سلامة الكلام تكون في سلامة اللّفظ وسهولته، ونصاعته وحُـسنه، لأنّ اللّفظة عموما قد تصلح في مكان

وتألف إليه داخل البناء النّصي وقد لا تصلح فيه، بل تطلب مكان غير المكان الذي اختاره المؤلّف

5 ـ تــداول المعــانـــــي:

يتحدّث العسكري في كتابه عن خاصية يتميّز بها كل الكاتب، وهي تداول المعاني فيما بينهم فالمعاني تتداول بين النّاس ومن جيل إلى جيل، فنطوّر أنفسنا و كتاباتنا انطلاقا من الماضي، فلا نجد إنسانا في غني عن استخدام و توظيف المعاني السّابقة عليه فالإنسان لا يكتب مباشرة بعدما يولد، لكنّه يكبــر ويدرس الكتابات السّابقة عليه بعدها يكتب انطلاقا من هذه الكتابات.

يقــول العسكــري في هذا الباب:" ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممّن تقدّمهم و الصبّ على قوالب من سبقهم، ولكن عليهم، إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظا من عندهم ويبرزوها في معارض من تأليفهم، ويوردها في غير حليتها الأولى ويزيدها في حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها و معرضها، فإذا فعلوا ذلك فهم أحقّ بها ممّن سبق إليها، ولولا أنّ القائل يؤدّي ما سمع لما كان في طاقته أنْ يقول وإنّما ينطق الطّفل بعد استماعه من البالغين."[18]

يؤكّد العسكري أنّ كل النّاس يتناولون المعاني السّابقة عليهم، وهذا ليس عيبا بل يجيز للكاتب أخذ معاني غيره، لكنّه لا يأخذها كما هي بكسوتها حرفيّا فهذا في نظره غير محمود بل يجب عليه أن يتناول هذه المعاني بتأليفه وأسلوبه ويُغيّر في ألفاظها، عند ذلك قد يُزيّن ويوضّح هذه المعاني على من سبقوه، وبالتّالي فإن حسن هذه المعاني قد تنسب إليه رغم أنّها متناولة قبله وهذا بسبب أنّه قدّمها في أبهى صورة.

فالمعاني مشتركة بين النّاس، ولكن يحدث الاختلاف في النّسيج والتّأليف وما ينتج عنه من قوّة المعنى، ويضرب العسكري مثال لقول

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول:" قال أمير المؤمنين.... لولا أنّ الكلام يُعاد لنَفِدَ وقال بعضهم: كلّ شيء ثنيته قَصُرَ إلا الكلام فإنك إذا ثنيته طال، على أنّ المعاني مشتركة بين العقلاء، فربّما وقع المعنى الجيّد للسوقيّ و النبطي و الزّنجي، وإنّما تتفاضل النّاس في الألفــاظ ورصفها وتأليفها ونظمها، وقد يقع للمتأخر معنى سبقه إليه المتقدّم من غير أن يُلمّ به."[19]

فالكلام بين النّاس لا ينتهي، فكلّما أراد الإنسان أن يحلل فكرة أو عبارة يطول فيها الكلام وقد يكتب صفحات عن هذه الفكرة، ونجد فيها معان سابقة ومعان جديدة وهكذا، فالمزية في التّأليف و النّظم، أمّا الذي يأخذ المعنى بلفظه فالعسكري يصنّفه في مجموعة (السّارقين)، لأنّ المعنى يبقى ثابتا واللّفظ أيضا فالأخذ لم يزد شيئا ممّا تناول الكاتب الذي أخذ عنه، فيقول:" وسمعت ما قيل: إنّ من أخذ معنى بلفظه كان له سارقا ومن أخذه ببعض لفظه كان له سالخا ومن أخذه فكساه لفظا من عنده أجود من لفظه كان هو أولى به ممّن تقدّمه."[20]

يُبيّن العسكري أصناف الأخذ إلى ثلاثــة أصناف هي أخذ اللّفظ والمعنى ممنوع ويصنّف ضمن السّرقة، ثمّ أخذ المعنى ببعض اللّفظ يصنّف ضمن(السّلخ)، أمّا الصّنف الثّالث أخذ المعنى بغير لفظه، فهذا هو المحمود بين الأدباء والنّقاد، وهذا العمل يطوّر العلوم والآداب لأنّ كل جيل يضيف إضافة لما سبق، ولا يعيد ويكرّر نتائج السّابقين فالسّابق يبدأ و اللاحق يستمرّ فيها." فابتكـار المعنى والسبق إليه ليس فضيلة يرجع إلى المعنى، وإنّما هو فضيلة ترجع إلى الذي ابتكره وسبق إليه فالمعنى الجيّد جيّد وإن كان مسبــوقا إليه."[21]

فالفضل بين النّاس لا يرجع إلى المعنى، وإنّما إلى الذي ابتكر المعنى وزاد فيه غير أنّ العسكري أوضح أنّ أحد أسباب إخفاء السرق هو أنّ يأخذ الأديب نصّا شعريّا فيحول معناه إلى نص نثري، أو ينقل معنى نص نثري إلى نظم شعري، فيقول: "وأحد أسباب إخفاء السرق أن يأخذ معنى من نظم فيورده في نثر، أو من نثر فيورده في نظم، أو ينقل المعنى المستعمل في صفة خمر فيجعله في مديح، أو في مديح فينقله إلى وصف."[22]

وهذا الإنشاء يدل على براعة مبدع النص عندما يصبح يتلاعب من غرض إلى غرض و من نسج أدبي إلى آخر، فهو يحذرنا من الأخذ الحرفي للألفاظ و نفس المعنى ،دون بذل جهد في التأليف.

6. خـــاتـــمـــــة:

يُبيّن أبو هلال العسكري بأن الكلام لا يحسن إلا بسلاسته، يبدو متأثرا برأي الجاحظ وخاصة (صناعة الألفاظ) وبمنهج قدامة بن جعفـر للشعر وعنايته بالصّنعة. فأبو هلال العسكري الذي اعتمد على رأي الجاحظ و اتبعه في قضيّة الصّناعة الشّعــرية والبلاغة تكمن في تحسين اللّفظ وتجويده، وأنّ المعنى يتّبع اللّفظ فمن أراد المعنى الشّريف فليبحث عن اللّفظ الشّريف.أي أن العسكري استوعب فكرة الجاحظ حول اللّفظ من خلال عبارته المشهورة (المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي و العجمي والقروي وإنما الشأن في إقامة الوزن و تخير اللفظ..)، ولم يكن هدفه إهانة المعنى وعدم الاعتناء به، إنّما قصده هو إخراج المعاني التي تدور في ذهن المنتج للنّص في أبهى صورة حتى تحدث التّأثير المقصود، فهو يميل إلى أولوية اختيار اللّفظ المناسب وعلاقته بما يجاوره من أجل بلوغ المعنى الحسن، وأنّ حسن المعنى في نظره يتوقّف على حسن اللّفظ،و متى فسد اللّفظ سواء كانت مفردا أو داخلا في التّركيب اللّفظي فإنه يفسد المعنى، وهذه هي الإشكالية التي يدعو الجاحظ إلى تجنبها والابتعاد عنها، لأنّ العيب لا يُصيب المعاني إلا من طريق الألفاظ.

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

7- قائمة المراجـع:

1) أبو هلال العسكـري ـ الصناعتين (الكتابة و الشّعر) ـ تحقيق علي محمّد البجاوي ـ و محمد أبو الفضل إبراهيم ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت ـلبنان 1986.
2) إحسان عبّاس ـ تاريخ النّقد الأدبي عند العرب. دار الشّروق ـ القاهرة مصر،1993.
3) بدوي طبانة، أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنّقدية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3 ـ 1981.
4) شوقي ضيف، في النقد الأدبي، مكتبة الدراسات الأدبيّة، دار المعارف القاهرة، ط5، 1962.
5) محي الدّين صبحي ـ المختار من التّراث العربي من كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه ـ منشورات وزارة الثّقافة والإرشاد القومي ـ دمشق ـ 1978.

8.الهوامـــــــش:

[1]إحسان عبّاس، تاريخ النّقد الأدبي عند العرب، دار الشّروق، القاهرة مصر،1993 ـ ص347
[2]أبو هلال العسكـري ـ الصناعتين (الكتابة و الشّعر) ـ تحقيق علي محمّد البجاوي ـ ومحمّد أبو الفضل إبراهيم ـ المكتبة العصريّة ـ صيدا ـ بيروت ـ لبنان 1986 ـ ص58.
[3]أبو هلال العسكـــري ـ الصناعتين (الكتابة والشّعـــر)، ص58.
[4]نفســه ـ ص 59.
[5]أبو هلال العسكـري ـ الصناعتين (الكتابة والشّعـر)، ص59و60.
[6]محي الدّين صبحي ـ المختار من التّراث العربي من كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه ـ منشورات وزارة الثّقافة والإرشاد القومي ـ دمشق ـ 1978 ـ ص95.
[7]أبو هلال العسكـري ـ الصناعتين (الكتابة والشّعـر)، ص 60.
[8]العســكـري، الصناعتين، ص195.
[9]بدوي طبانة، أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغيّة والنّقديّة، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط3 ـ 1981 ـ ص189.
[10]شوقي ضيف، في النّقد الأدبي، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، القاهرة ط5، 1962،ص110.
[11]العســكـري، الصناعتين، ص133.
[12]نفســه، ص134.
[13]نفســه، ص134.
[14]العسكـــري ـ الصناعتين، ص135.
[15]نفســـــه ـ ص139.
[16]بدوي طبانة، أبو هلال العسكري و مقاييسه البلاغية و النّقدية، ص194.
[17]العسكري، الصناعتين، ص141.
[18]المرجع نفسه، ص 196.
[19]المرجع نفسه، ص 196.

[20]العسكري، الصناعتين، ص197.
[21]المرجع نفسه، ص 197.
[22]المرجع نفسه، ص 198.